المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP
مجلة العلوم الإسلامية
العدد الثالث – المجلد الثاني
يونيو 2019 م
ISSN: 2518-5780

Characteristics of the disbelievers in the first Surah Al - Baqarah - An analytical study

Salah Ali Muqden
Faculty of Islamic Sciences || Iraqi University || Iraq

Abstract: The Quran is the first source, which is the word of God, which is incapable of all creation of the type, and hence the status of the science of interpretation because it relates to the book of God, and the status of analytical study in the Koran, and the highlight of the Quranic miracle in most aspects was the reason for my choice for this subject In order to know the characteristics of the unbelievers came the research entitled (qualities of the unbelievers in the first Surah Al-Baqarah - an analytical study)

It is written in accordance with the analytical method by its known and reliable steps, which is very important because the research shows the faces of Quranic miracles in all its developed aspects, especially reliance on sources and references in the presentation of opinions in interpretation and interpretation. The most prominent opinion was the interpretation of some places and things that bear Opinion, particularly in the stereotypical-graphical-stylistic subjects.

Keywords: Characteristics of the unbelievers, Surat al - Baqarah, interpretation, attributes and names, the first cow.

صفات الكافرين في أول سورة البقرة - دراسة تحليلية

صلاح علي مضعن
كلية العلوم الإسلامية || الجامعة العراقية || العراق

الملخص: يعد القرآن الكريم هو المصدر الأول، وهو كلام الله الذي أعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله، ومن هنا جاءت مكانة علم التفسير لأنه يتعلق بكتاب الله، ولمكانة الدراسة التحليلية في القرآن الكريم، وما لها من دور في إبراز الإعجاز القرآني في معظم جوانبه كان سبباً في اختياري لهذا الموضوع ومن أجل معرفة صفات الكافرين جاء البحث بعنوان (صفات الكافرين في أول سورة البقرة – دراسة تحليلية)، وقد كتب وفق المنهج التحليلي بخطواته المعروفة والمعتمد عليه وهو أمر في غاية الأهمية؛ لأن البحث يوضح وجوه الإعجاز القرآني في جميع نواحيه المتطورة، ولاسيما التعويل على المصادر والمراجع في عرض الآراء في التفسير والتأويل، وكان إبراز الرأي في تأويل بعض الأماكن والأمور التي تحتمل إبداء الرأي ولا سيما في المواضيع الصورية – البيانية- الأسلوبية غير المقطعية، واشتمل البحث على مقدمة وثمانية مطالب وخاتمة.

أما المقدمة فتناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته وأهدافه، أما المطلب الأول كان التعريف بصفات الكافرين، أما المطلب الثاني تحليل الكلمات، أما المطلب الثالث: المناسبة بين آيات النص، وسبب النزول، أما المطلب الرابع تحدثت فيه عن القراءات القرآنية الواردة في الآيتين، أما المطلب الخامس تكلمت فيه الوجوه البلاغية في النص القرآني، أما المطلب السادس تحدثت فيه عن الوجوه الإعرابية، أما المطلب السابع تكلمت فيه عن المعنى العام للآيات، أما المطلب الثامن تكلمت فيه عن اهم ما يستفاد من النص، وختمت البحث بالنتائج والتوصيات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمات المفتاحية: صفات الكافرين، سورة البقرة، تفسير، الصفات والأسماء، أول البقرة.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين الذي لعن الكافرين وأعد لهم عذاباً أليماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

لا شك أن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الإسلامي الأول وهو كلام رب العالمين الذي عجز كلُّ الخلق عن الإتيان بمثله وفي ذلك يقول الله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[1]، ومن هنا جاءت أهمية التفسير لأنه يتعلق بكتاب الله جل جلاله، وكما يقال: أن شرف الشيء من شرف متعلقه، وكان بدافع شغفي وتعلقي بكتاب الله تعالى.

1- أهمية البحث:

تبرز اهمية هذا البحث في الكشف عن صفات الكافرين فبعد أن بيَّن الله عز وجل صفات المؤمنين بيَّن بعدها صفات الكافرين في آيات بينَّات فقد صرح القرآن الكريم بذكر صفات الكافرين فجاء بحثي هذا لبيان تلك الصفات عن طريق دراسة هذه الآيات دراسة تحليلية وذلك لما لهذه الدراسة من أهميةٍ كبيرة تتجلى فيما يأتي:

1. بيان صفات الكافرين الذين اشتروا الضلالة بالهدى فكانت بهذا نتيجة ذلك عدم ربح تلك التجارة الخاسرة وما كانوا مهتدين بهذا الشراء وفي هذا بيان للناس عموما وللمسلين خصوصا.
2. تبرز أهمية البحث في بيان تلك الصفات التي على المسلمين تجنبها فبيان هذه الصفات تحذير من التحلي بتلك الصفات التي تؤدي إلى الخسران المبين.
3. تظهر أهمية هذا البحث أن الله عز وجل افرد للكافرين وبين صفاتهم في آيات خاصة لما لهذه الصفات واصحابها من أثر سيءٍ في حياة الفرد والمجتمع.

أما أهداف البحث فهي:

1. يهدف هذا البحث إلى بيان صفات الكافرين من عدم إيمان وكفر وفي حال الإنذار وعدمه وغيرها من الصفات التي صرح بهذا القرآن الكريم في بداية سورة البقرة.
2. التعريف بصفات الكافرين وتجنب تلك الصفات والتحلّي بصفات المؤمنين من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر وخيره وشره هو اقامة الصلاة والانفاق من رزق الله وغيرها من الصفات المحمودة.
3. يهدف البحث ال بيان مصير من يتحلى بصفات الكافرين هو الخسران المبين، لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تلك التجارة واصبحوا من الضالين غير مهتدين إلى صواب، وفي هذا اشارة واضحة وتحذير من التحلي بتلك الصفات.

2- مشكلة البحث: من تلك المشكلات هي:

1. إن موضوع الكفر من الموضوعات المهمة للأمة الإسلامية وخاصة في هذه الفترة ما تطغى من مشاكل وهجمات على هذه الامة.
2. لأن الكفر قضية كبيرة وفي غاية الأهمية وخطيرة ويجب على المسلمين أن يكونوا حذرين.
3. يجب على الانسان المسلم أن يعرف حقيقة الكفر ماهي هي اضراره حق المعرفة أن يتجنبه كي لا يقع فيه.

---

(1) - سورة الاسراء: 88.

3- أما منهجي في كتابة البحث:

1. يعتمد على منهج التفسير التحليلي.
2. يعتمد أيضا على بيان صفات الكافرين في أول سورة البقرة وفي آيتين فقط.
3. عند الاستدلال بالحديث اقدم الصحيحين على غيرهما، واكتفي بهما أو بأحدهما واحيانا اذكر رواية غيرهما.
4. عند تفسير الآيات القرآنية كان اعتمادي على التفاسير القديمة والحديثة.

4- خطة البحث:

قد جعلت بحثي هذا في مقدمة وثمانية مباحث:

كان الأول: التعريف بصفات الكافرين، **والثاني:** تحليل الكلمات، **والثالث:** المناسبة بين آيات النص، **والرابع:** القراءات الواردة في النص، **والخامس:** الوجوه البلاغية في النص، **والسادس:** الوجوه الإعرابية، **والسابع:** المعنى العام للنص، **والثامن:** ما يستفاد من النص.

5- الدراسات السابقة:

حدود هذا البحث تكون في معاني الكافرين في أول سورة البقرة وماله من أسباب وآثار في الحياة الاجتماعية على الفرد والمجتمع وماله من عواقب في الدنيا والآخرة، وكيف يهتم الشرع بالكفر ويحذر الامة منه في كثير من الآيات؛ لأن الكفر اقبح الصفات وعاقبته في الآخرة، وقد بعث الله سبحانه الرسل عليهم السلام لمحو الكفر وتحذير الامة منه كما تكلّم عنه القرآن وحذر منه في آيات عديدة، وهناك بعض المؤلفات التي لها علاقة بموضوع هذا البحث:

1. الشرك في القديم والحديث، رسالة ماجستير للأستاذ أبي بكر محمد زكريا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، اشراف د. احمد عطية، 1418.
2. أسس معاملة المسلمين للكفار للأستاذ عبد الباقي أحمد سلامة، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم التفسير، 1974م، المشرف /أ. د. موسى شاهين.
3. التكفير والمكفرات، رسالة ماجستير، للباحث حسن بن علي العواجي السعودي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، المشرف أ. د. عبد الكريم علي، 1408 هـ.

قد جعلت بحثي هذا في مقدمة وثمانية مطالب وكان المطلب الأول: التعريف بصفات الكافرين، والمطلب الثاني: تحليل الكلمات، والمطلب الثالث: المناسبة بين آيات النص، وسبب النزول والمطلب الرابع: القراءات القرآنية الواردة في الآيات، المطلب الخامس: الوجوه البلاغية في النص، المطلب السادس: الإعراب، المطلب السابع: المعنى العام للنص، المطلب الثامن: ما يستفاد من النص وختمت البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والتوصيات بعد دراسة موضوع البحث، وأخيراً فهذا جهد بذلته وعند الله تعالى ادخرته، فإن كنت قد أصبت فذلك من فضل الله علي وتوفيقه لي، وإن كنت قد أخطأت فحسبي أنني قد بذلت غاية الجهد وليس الكمال إلا لله تعالى وحده وكتابه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسلم تسليما.

المطلب الأول: التعريف بصفات الكافرين.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[2]

وبعد أن تكلم جل جلاله على المؤمنين وذكر صفاتهم[3]، وبين الجزاء في الآخرة وما يستنظرهم من الخير الكبير، أراد أن يسدينا الله الصورة المقابلة وهم الكافرون، ويوضح لنا أن الإيمان جاء ليهيمن على العموم يحرز لهم الخير في الدنيا والآخرة، ولاسيما أن يكون هناك شرٌ يقاتله الإيمان، ولولا وجود هذا الشر، لا حاجة من وجود الايمان، لأن الانسان المؤمن يحفظ نفسه ومجتمعه وعالمه من شرور يأتي بها الكفر، والكافرون قسمان: قسم كفر بالله أولاً ثم استمع إلى كلام الله، واستقبله بفطرته السليمة فاستجاب وآمن، وطرف آخر منتفع من الكفر والطغيان ومن الظلم ومن أكلِ حقوق الناس وغير ذلك، وهذا الطرف يعرف أن الايمان اذا جاء فإنه سيجرده جاهاً دنيوياً ومكاسب يحققها ظلماً وعدواناً. (4)

والبحث الذي نحن بخصوصه نتحدث فيه عن صفات الكافرين كما جاءت في مطلع سورة البقرة، وقد عنّي القرآن الكريم بتلك الصفة، وأكثر من التوجيه إلى إبعاد الناس عن الكفر بالله، وكانت للقرآن في ذلك أساليب متعددة فقد نهاهم عن الكفر بالله فقال تعالى: (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا)، (5)، ومن صفات أولئك الكفرة الاستكبار.

وقبل البدء بالحديث في مادة البحث سنبين معنى الصفة من ثَّم معنى الكافرين وذلك على النحو الآتي:

الوصف في اللغة: النَّعْتُ: يُقَال: وَصَفَ الشَّيْءَ وَصْفًا وَصِفَةً، (6) وَصَفَ: وَصَفَ الشيءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفاً وصِفَةً: حَلَّاه، وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ(7)، والوصف: ذكر الشيء بحليته ونعته، والصفة: الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته، كالزنة التي هي قدر الشيء. (8)

الوصف في الاصطلاح: (عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة، كأحمر، فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود، وهو الحمرة، فالوصف والصفة مصدران، كالوعد والعدة، والمتكلمون فرقوا بينهما، فقالوا: الوصف: يقوم بالواصف، والصفة: تقوم بالموصوف، وقيل: الوصف هو القائم بالفاعل). (9)

والكفر في اللغة: قال ابن فارس: (الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ، وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ، وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}(10))(11).

---

2 - سورة البقرة: 6- 7.

3 - من صفات المؤمنين هي (الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، الخشوع في الصلاة، المحافظة على الصلاة، المؤمنين حفظ الفروج، المؤمنين رعاية الأمانة، حفظ العهد، الإعراض عن اللغو، فعل الزكاة، كظم الغيظ).

(4) - ينظر: قطب، في ظلال القرآن، : 43/1.

(5) - سورة النساء من الآية: 172.

(6) - ينظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 616/2، والفيروز أبادى، القاموس المحيط: 1311/1.

(7) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 361/9.

(8) - ينظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: 518/2-519، والحربي، صفات المتقين في أول سورة البقرة- دراسة وتحليل: 15.

(9)-الجرجاني، التعريفات: 252.

(10) - سورة الحديد من الآية: 20.

(11) - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 195/1.

الكفر في الاصطلاح: هو إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به، وإنّما عد لبس الغيار[12] وشدّ الزنار[13] بغير اضطرار[14] ونظائرهما كفراً لدلالته على التكذيب فإنّ من صدّق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر.[(15)]

وقد تعددت ألفاظ العلماء في تعريف الكفر، فقال ابن حزم رحمه الله: (هو جحد الربوبية، وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيءٍ ممَّا أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ممَّا صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأنّ العمل به كفرٌ).[(16)]

وأنّ حقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلاّ إقامة الحجة، وكأنّ في هذا قطعاً لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنّك لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ} أيْ: أنّه طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}[17] أي: غشاء وغطاء وأكنة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، ((وهذه طرق العلم والخير)) قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى عندهم، ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، هو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم،[(18)]، في هاتين الآيتين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له، فلا تحسر عليهم، ولا طمع في إيمانهم، ولا لوم عليه فيهم، ونحن هنا سوف نذكر هذه الصفات لا نريد أن نتكلم عليها جميعاً بل نستهل الحديث، وسنتكلم عن بعض هذه الصفات، وكما جاء في أول سورة البقرة من الآية (6-7)، وسندرس ذلك عن طريق دراسة النص القرآني بشكل تحليلي:

المطلب الثاني: تحليل الكلمات.

قوله تعالى: {سَوَاءٌ}، (السَّوَاءُ الْعَدْلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)[(19)]، وَسَوَاءُ الشَّيْءِ وَسَطُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ)[(20)]وَسَوَاءُ الشَّيْءِ غَيْرُهُ)[(21)]وقوله تعالى: {أَأَنْذَرْتَهُمْ}، فإن معنى: (الْإِنْذَارُ): هو الْإِبْلَاغُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّخْوِيفِ، والإعلام مع التخويف وَالِاسْمُ (النُّذُرُ)، بِضَمَّتَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[(22)]، أَيْ إِنْذَارِي، وَ(النَّذِيرُ الْمُنْذِرُ)، وَ(الْإِنْذَارُ)أَيْضًا، وَ(النَّذْرُ)، وَاحِدُ (النُّذُورِ)، وَقَدْ (نَذَرَ) لِلَّهِ كَذَا مِنْ بَابِ

12 - بكسر المعجمة، وإن لم يشرط عليهم، وهو أن يخيط كل منهم من ذكر أو غيره بموضع لا يعتاد الخياطة فيه كالكتف على ثوبه الظاهر ما يخالف لونه لون ثوبه، ويلبسه، وذلك للتمييز: أبي شجاع متن الغاية والتقريب: 42.

13 - الزنار: هو خيط غليظ بقدر الإصبع من الإبريسم يشد على الوسط، وهو غير الكستيج: التعريفات: 115.

14 - اضطرَّ يضطرّ، اضْطَرِرْ/اضْطَرَّ، اضطرارًا، فهو مُضطرّ، والمفعول مُضطرّ • اضطرَّه إلى الانسحاب: أحوجه وألجأه إليه وأرغمه عليه "اضطَرَّه إلى الهروب/ عدم الحركة: ينظر: منظور لسان العرب: 160/5.

(15) - ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 41/1، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 35/1.

(16) – الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل: 118/3.

17 - سورة البقرة من الآية: 6.

(18)- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 247/1.

(19) - سورة الأنفال من الآية: 58.

(20) - سورة الصافات من الآية: 55.

(21) - الرازي، مختار الصحاح: 158.

(22) - سورة القمر من الآية: 16.

ضَرَبَ وَنَصَرَ، وَيُقَالُ: (نَذَرَ) عَلَى نَفْسِهِ (نَذْرًا)، [23] وَ(نَذَرَ) مَالَهُ (نَذْرًا) وجاء تَنَاذَرَ الْقَوْمُ كَذَا خَوَّفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، و(نَذِرَ) الْقَوْمُ بِالْعَدُوِّ عَلِمُوا، وكان بَابُهُ طَرِبَ.

وقوله تعالى: {خَتَمَ}: (ختم: خَتَمَه يَخْتِمُه خَتْماً وخِتاماً؛ الأَخيرة. . . . طَبَعَه، فَهُوَ مَختوم ومُخَتَّمٌ، شُدِّد لِلْمُبَالَغَةِ، والخاتِمُ الفاعِلُ، والخَتْم عَلَى القَلْب: أن لَا يَفهَم شَيْئًا وَلَا يَخرُج مِنْهُ شَيْءٌ كأَنه طَبْعٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيز: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}[24]، هُوَ كَقَوْلِهِ: {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [25]، فَلَا تَعْقِلُ وَلَا تَعِي شَيْئًا؛ ومَعْنَى خَتَمَ وطَبَعَ فِي اللُّغَةِ واحدٌ، وَهُوَ التَّغْطِيَةُ عَلَى الشَّيْءِ والاستِيثاقُ مِنْ أن لَا يَدخله شَيْءٌ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [26]؛ وَفِيهِ: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}[27]؛ مَعْنَاهُ غَلَبَ وغَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ). [28]

طبع عليها بالخاتم، وإنما يفعل هذا على الأبواب لمنع الدخول إليها، والمراد أغلقت قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا تصح.

وقوله تعالى: {غِشَاوَةٌ}: (الغِشاوة: مَا غشي الْقلب من الطَّبْع، والغشاء: الغطاء، الغشاوة: الغطاء، والمقصود التعامي عن النظر إلى آيات الله.

وغاشية السرج: غطاؤه، وَالرجل يستغشي ثوبَه كي لَا يسمع وَلَا يرى، والغاشية: السُّؤَال الَّذين يغشونك يرْجونَ فضلك ومعروفك، والغاشيةُ: اسْم من أَسمَاء الْقِيَامَة فِي القرآن، والغِشْيانُ كنايةٌ عنْ إتْيَان الرّجلِ المَرْأة، والفعلُ غَشِيَها يَغشاها غِشيَاناً، وَقَالَ الله جلَّ وَعز: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}، وقرئ: (غَشْوَةٌ) كَأَنَّهُ رُدَّ إلى الأَصْل؛ لأن المصادرَ كلهَا تُرَدُّ إلى فَعْلةٍ، والقراءةُ المختارةُ غِشَاوَةٌ، وكلُّ مَا كَانَ مُشتمِلاً على الشَّيْء فَهُوَ مبنيٌّ على فِعالةٍ نَحْو: الغِشَاوة والعِمامةِ والعصابة، وَكَذَلِكَ أسماءُ الصناعاتِ لاشتمال الصِّناعة على كلِّ مَا فِيهَا نَحْو الخياطةِ والقِصارةِ). [29]

المطلب الثالث: المناسبة بين آيات النص، وسبب النزول.

أولاً: المناسبة بين آيات النص.

ابتدأ الله هذه السورة بالكلام عن القرآن الكريم وموقف الناس منه، وذكر أنهم أنواع: فمنهم من آمن به وعمل صالحا وأولئك هم المفلحون، ومنهم من كفر واستكبر عن الحق قولا وعملا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، أتبع الله تعالى هذه الآية بعد بيان أحوال المؤمنين، لعقد مقارنة بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر، لأن الكفر ضد الإيمان، والمؤمنون ناجون، والكفار هالكون خالدون في نار جهنم.

فقد أتبع الله في هذه الآية بعد بيان أحوال المؤمنين، لعقد مقارنة بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر، لأن الكفر ضد الإيمان، والمؤمنون ناجون، والكفار هالكون خالدون في نار جهنم[30]، ليظهر الفارق الواضح بين الصنفين،

(23) - ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 414/5، والرازي، مختار الصحاح: 308.

(24) - سورة البقرة من الآية: 7.

(25) - سورة النحل من الآية: 108.

(26) - سورة محمد من الآية: 24.

27 - سورة المطففين: 14.

(28) – لابن منظور، لسان العرب: 163/12.

(29) - الأزهري، تهذيب اللغة: 145/8.

(30) - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 77/1.

على طريقة القرآن الكريم في المقارنة بين الأبرار والفجار، والتمييز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة وبضدها تتميز الأشياء. [31]

إن الذين كفروا وجحدوا بآيات الله وكذبوا بالقرآن، وبمحمد صلى الله عليه وسلم يستوي عندهم الإنذار وعدمه، فلا تتأثر قلوبهم به، لأنها مغلقة لا يصل إليها النور الإلهي، ولا يشرق فيها إيمان، بسبب تعاميهم عن الحق وآيات الله، فلا ينفذ إليها أثر الهداية والموعظة، ولأنهم عطلوا وسائل المعرفة والنظر والتفكير وإعمال السمع والبصر، فأصبحوا يرون الحق فلا يتبعونه، ويسمعونه فلا يعونه، فكان جزاؤهم عذابا عظيما شديدا لا ينقطع، بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول.

ولما أردف الله تعالى البيان لأوصاف المؤمنين أردف في التعريف بأحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين وكان المنافقون قسمين جهالاً من مشركي العرب وعلماء من كفار بني إسرائيل كان الأنسب ليفرغ من قسمٍ برأسه على عجل البداءة أولاً بالمصارحين فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين، لأن أمرهم أهون وشأنهم أيسر لقصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام فقال مخاطباً لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}[32] أيْ حكم بكفرهم دائماً حكماً نفذ ومضى فستروا ما أقيم من الأدلة على الوحدانية عن العقول التي هُيئت لإدراكه والفطر الأولى التي خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له وداموا على ذلك بما دّل عليه السياق بالتعبير عن أضدادهم بما يدَّلُ على تجديد الإيمان على الدوام واللحاق بالختم والعذاب في الدنيا والآخرة، [33] ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضدّ ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ}، [34] فأنه إنذارك في هذا الوقت بهذا الكتاب، {أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ} [35] وعدم إنذارك فيه وبعده وقد انسلخ عن أم والهمزة معنى الاستفهام. [36]

ولما كان كأنَّه قيل في أي شيء استوت حالتاهم قيل في أنهم، {لا يُؤْمِنُونَ}[37]، وهي دليلٌ على خصوص كونه هدى للمتقين وعلى وقوع التكليف بالممتنع لغيره فإنه سبحانه كلّفهم الإيمان وأراد منهم الكفران، فصار ممتنعاً لإرادته عدم وقوعه، والتكليف به جار على سنن الحكمة فإنّ إرادة عدم إيمانهم لم تخرج إيمانهم عن حيز الممكن فيما يظهر فحصل بمجموع قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ} إلى آخره وبقوله: {لا يُؤْمِنُونَ}[38] فإنّه خبر تامٌّ عن سابقة أمرهم ولاحقة كونهم، فتَّم بالكلامين الخبر عنهم خبراً واحداً ملتئماً كتباً سابقاً وكوناً لاحقاً، وكل موضع ذكر فيه الكفر فإنما عبر به

(31) - ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير: 27/1.

(32) - سورة البقرة من الآية: 6.

(33) - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 95/1.

(34) - سورة البقرة من الآية: 6.

(35)- سورة البقرة من الآية: 6.

(36) - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 95/1.

(37) - سورة البقرة من الآية: 6.

(38) - سورة البقرة من الآية: 6.

إشارة إلى أن الأدلة الأصلية في الوضوح بحيث لا تخفى على أحد ولا يخالفها إلّا من ستر مرآة عقله إما عناداً وإما بإهمال النظر السديد والركون إلى نوع تقليد[39].

ولما كان من أعجب العجب كون شيء واحداً يكون هدى لناس دون نّاس علل ذلك بقوله: {خَتَمَ اللَّهُ}، أيْ بجلاله {عَلَى قُلُوبِهِمْ}، ختماً مستعلياً عليها فهي لا تعي حق الوعي، لأن الختم على الشيء يمنع الدخول إليه والخروج منه، وأكد المعنى بإعادة الجار فقال: {وَعَلَى سَمْعِهِمْ}، فهم لا يسمعون حّق السمع، وأفرده لأن التفاوت فيه نادرٌ.

والختم على القلوب بمعنى عدم وعي الحق؛ وإلقاء الغشاوة على المسامع والأبصار، بمعنى عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم، أو بمعنى عدم نظرهم في مخلوقات الله، أو بمعنى أنهم دعوا إلى وحدانية الله فلم يؤمنوا، وكل ذلك إنما كان بسبب كفرهم وجحودهم، لا بسبب في القرآن أو تقصير من محمد أو أحد بعده في هدايتهم، فهم المتسببون لكل ذلك، المعرضون عن استخدام وسائط المعرفة السليمة في اعتقاد الحق والعمل به.

فدل تعبير الختم والطبع على القلوب والأسماع والأبصار على تمكن الكفر في قلوبهم، حتى فقدوا الدواعي والأسباب التي ترشدهم إلى النظر والتفكر في أدلة الإيمان ومحاسنه، وأصبحوا في هيئة أو عادة تألف الجحود والعصيان.

ولما وصفهم بذلك أخبر بمآلهم فقال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، [40]وفي قوله: {وَلَهُمْ}، إعلام بقوة تداعي حالهم لذلك العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد عيان المعرفة به أي العذاب وبهم أنّه لهم وكان عذابهم عظيماً آخذاً في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصدُّ عنهم شيئاً من عذابها كما يكون للمعاقبين من مذنبي مؤمني الأمم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك. [41]

وقد أسند الختم على قلوبهم وعلى أسماعهم وأبصارهم إلى الله تعالى، تنبيها على سنة الله في أمثالهم، لا على أنهم مجبورون على الكفر، ولا على منع الله تعالى إياهم من الإيمان بالقهر، وإنما هو تمثيل لسنته تعالى في تأثير تمرسهم على الكفر وإعماله في قلوبهم، بأنه استحوذ عليها وملك أمرها، حتى لم يعد فيها استعداد لغيره، وكان فعل الله ذلك عدلا فيمن خذله وأمد له في ضلاله، إذ لم يمنعه حقا وجب له، فتزول صفة العدل، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم، لا ما وجب لهم.

ثانياً: سبب النزول.

(قال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، وقال الكلبي: يعني اليهود)[42]، (كان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلتْ في اليهود الذين كانوا بنَواحي المدينةِ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، توبيخًا لهم في جُحودهم نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبِهم به، مع علمهم به ومعرفتِهم بأنه رسولُ الله إليهم وإلى الناس كافّة)[43].

(39) - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 95/1.

(40) - سورة البقرة من الآية: 7.

(41) - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 95/1.

(42) - ينظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن: 25.

(43) – الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 151/1.

عن ابن عباس: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)، أي بما أنزل إليك من ربك، وإن قالوا إنا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك[44].

المطلب الرابع: القراءات[45]القرآنية الواردة في الآيتين.

- قرأ نافع[46]، وابن كثير[47]، وأبو عمرو[48]، {أَأَنْذَرْتَهُمْ}، بهمزة مطولة ثم همزة مخففة وكذلك ما أشبه ذلك في كل القرآن مثل قوله: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ}[49]، وقوله تعالى: {أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ}[50]، وما كان مثله[51].

فقد اختلف القراء في قراءة: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) فقرأ أهل المدينة وأبو عمرو والأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بِتَحْقِيقِ الْأُولى وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَاخْتَارَهَا الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ، وَهِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.[52]

- قرأ نافع وأبو عمرو (آنذرتهم آنت) بهمزان ثم يمدان بعد الهمزة وتقدير هذا أن تدخل بين ألف الاستفهام وبين الهمزة التي بعدها ألفا ليبعد المثل عن المثل ويزول الاجتماع فيخف اللفظ، والأصل {أَأَنْذَرْتَهُمْ}، ثم تلين الهمزة في أنذرتهم، وحجتهما في ذلك أن العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخففها في أخف أحوالها وهي ساكنة نحو كاس فإذا كانت تخفف وهي وحدها فإنْ تخفف ومعها مثلها أولى.[53]
- وقرأ ابن كثير أنذرتهم بهمزة واحدة غير مطولة ومذهبه أن يحقق الأولى ويخفف الثانية وقرأ ابن عامر[54] وأهل الكوفة {أَأَنْذَرْتَهُمْ}، أأنت بهمزتين وحجتهم في ذلك أن الهمزة حرفٌ من حروف المعجم كغيره من سائر الحروف صح بالجمع بينهما نحو ما يجتمع في الكلمة حرفان مثلان فيؤتى بكل واحد منهما صحيحا على جهته من غير تغيير

---

44 - ينظر: تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/ 2، 1420هـ - 1999 م: 175/1.

(45) - فهي: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف: ينظر: الجزري، النشر في القراءات العشر: 9/1.

(46) - نافع: هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني، هو أبو رويم، فقد اخذ القراءة عن أبي جعفر القارئ وعن سبعين من التابعين وممن اشتهر بالرواية عنه قالون وورش (ت 169هـ)، ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: 107/1.

(47) - ابن كثير: كنيته ابو معبد، هو عبدالله بن كثير بن المطلب، مولى عمرو بن علقمة الكناني، اصله فارسي (ت120هـ). ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار: 86/1.

(48) - ابو عمرو: زبان بن العلاء البصري، وكنيته أبو عمرو، انه اعلم الناس بالقراءة ويمتاز بصدق وأمانة روي عن مجاهد وسعيد، روي عنه الدوري والسوسي، (ت154هـ)، ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار: 100/1.

(49) - سورة المائدة من الآية: 116.

(50) - سورة النمل من الآية: 60.

(51) - ينظر: أبو زرعة، حجة القراءات: 86.

52 -ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 1/ 161.

(53) - ينظر: أبو زرعة، حجة القراءات: 87.

(54) - ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، الإمام الكبير مقرئ الشام واحد أعلام، (ت 118هـ): ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار: 82/1-86.

كقوله: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ}[55]، ونظائر ذلك فلا يستثقل اجتماعهما بل يؤتى بكل واحد منهما فجعل الهمزتين كغيرها من سائر الحروف. [56]

وقرئ: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين، والتخفيف أعرب وأكثر، وبتخفيف الثانية بين بين، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها والثانية بين بين، وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله، كما قرئ (قَدْ أَفْلَحَ).

- كذلك كانت قراءة الكسائي[57] إذا خفف غير أن مد أبي عمرو في (ءاانذرتهم) أطول من مدّ القراء الاخرين، واختلف عن أبي عمرو في قوله: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ}، [58]، وقوله: {أَأُلْقِيَ}، [59]لألف بين الهمزتين ويلين الثانية. [60]
- وقوله تعالى: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ} [61]، تقرأ بالإمالة[62]، والتفخيم[63]، وكذلك ما شاكله مما كانت الراء مكسورة في آخره، فالحجة لمن أماله: أن للعرب في إمالة ما كانت الراء في آخره مكسورة رغبةٌ ليست في غيرها من الحروف للتكرير[64] الذي فيها، فلما كانت الكسرة للخفض في آخر الاسم، والألف قبلها مستعلية[65] أمال ما قبل الألف، لتسهل له الإمالة، ويكون اللفظ من وجهٍ واحدٍ، والحجة لمن فخّم: أنه أتى بالكلام على أصله، ووجهه الذي كان له لأن الأصل التفخيم، والإمالة فرع عنه[66].

وقول الله جلَّ وعزَّ: (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) [67] يقرأ ابن عباس بالرفع والنصب:

أولاً: فالحجة لمن رفع: أنه استأنف الكلام مبتدئاً، ونوى به التقديم، وبالخبر التأخير، فكأنه قال: وغشاوة على أبصارهم.

ثانياً: فالحجة لمن نصب: أنّه أضمر مع الواو فعلاً عطفه على قوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، [68]وجعل على أبصارهم غشاوة، وإضمار الفعل إذا كان عليه دليل كثير مستعمل في كلام العرب. [69]

---

(55) - سورة النمل من الآية: 36.

(56) - ينظر: أبو زرعة، حجة القراءات: 46.

(57) - الكسائي: وكانت كنيته أبو الحسن، هو علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن الاسدي الكسائي، إليه انتهت رئاسة القراء في الكوفة بعد حمزة الزيات، من الطبقة الرابعة، (ت180هـ)، ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار: 70/1.

(58) - سورة ال عمران من الآية: 15.

(59) -سورة القمر من الآية: 25.

(60) - ينظر: البغدادي، كتاب السبعة في القراءات: 136.

(61) - سورة البقرة من الآية: 7.

(62) - الإمالة: هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء وهي لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد، وقيس: ينظر: الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 29.

(63) - التفخيم: عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف، فيمتلى الفم بصداه، والتفخيم والتجسيم، والتسمين، والتغليظ بمعنى واحد رسالة فيما يجب على القارئ أن يعلمه ورقة: ينظر: المصدر السابق: 21/3.

(64) - التكرير في الراء: لأن ضمتها كضمتين، وفتحتها كفتحتين، وكسرتها ككسرتين: الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب: 3/ 20.

(65) - الاستعلاء: هو ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى، وقد زاد مكّي على حروف الاستعلاء السبعة الألف: ينظر: الجزري، النشر في القراءات العشر: 1/ 203.

(66) - ينظر: لابن خالويه، الحجة في القراءات السبع: 66، وأبو زرعة، حجة القراءات: 87.

(67) - سورة البقرة من الآية: 7.

(68) -سورة البقرة من الآية: 7.

(69) - ينظر: البغدادي، كتاب السبعة في القراءات: 136.

فقد اتفق القراء على قراءة: (غِشَاوَة) بالرفع، إلا ما روى الفضل عن عاصم (غِشَاوَةً) نصباً، قال أبو منصور: الرفع هي القراءة المختارة، ومن نصب فعلى إضمار فعل، كأنه قال: وجعل على أبصارهم غشاوةً.

في قراءة قوله: (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) فإنه يقرأ غشاوةٌ بالرفع على أنه مبتدأ، وعلى أبصارهم هي خبره، وفي الجار على هذا ضمير وعلى قول الأخفش غشاوة مرفوع بالجار، كارتفاع الفاعل بالفعل، ولا ضمير في الجار على هذا لارتفاع الظاهرية، والوقف على هذه القراءة (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ) [70].

ويقرأ بالنصب بفعل مضمر تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة ؛ ولا يجوز أن ينتصب بختم ؛ لأنه لا يتعدى بنفسه، ويجوز كسر الغين وفتحها وفيها ثلاث لغات أخر، غشوة بغير ألف، بفتح الغين، وضمها، وكسرها.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من ذلك قراءة (أَنْذَرْتَهُم)، بهمزة واحدة من غير مدٍّ، وذهب أبو الفتح: هذا مما لَا بُدَّ فيه أن يكون تقديره: (أَأَنْذَرْتَهُم)، ثم حذفت همزة الاستفهام تخفيفًا؛ لكراهة الهمزتين، ولأن قوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) لَا بُدَّ أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء (أم) من بعد ذلك أيضًا، وقد تم حُذف هذه الهمزة في غير موضع من هذا الضرب. [71]

والإنذار: إخبار معه تخويف في مدة تتسع للتحفظ من المخوف، فإن لم تتسع له فهو إعلام وإشعارٌ لا إنذار، وأكثر ما يستعمل في القرآن في التخويف من عذاب الله تعالى.

والمعنى: أن الذين كفروا برسالتك يا محمد مستو عندهم إنذارك وعدمه، فهم لا يؤمنون بالحق، ولا يستجيبون لداعي الهدى، لسوء استعدادهم، وفساد فطرهم. [72]

وقرأ الجمهور: (وَعَلى سَمْعِهِمْ)، وقرأ ابن أبي عبلة: (وعلى أسماعهم)، وهو في قراءة الجمهور فانه مصدرٌ يقع للقليل والكثير، وأيضا فلما أضيف إلى ضمير جماعة دلّ المضاف إليه على المراد، ويحتمل أن يريد على مواضع سمعهم فحذف وأقام المضاف إليه مقامه[73].

قال الطبري: (القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين:

أحدهما: اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها، وانفراد المخالف لهم في ذلك، وشذوذه عمّا هم على تخطئته مجمعون، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهداً على خطئها.

والثاني: أن الختم غير موصوفةٍ به العيون في شيءٍ من كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا موجود في لغةِ أحدٍ من العرب). [74]

المطلب الخامس: الوجوه البلاغية في النص القرآني.

فإن قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [(75)]، فإن معنى قوله: {لا يُؤْمِنُونَ}، معنى ما قبله، وأيضا ما بعده[(76)] جاء تأكيد ثانٍ؛ لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلاّ في حقّ من

(70) - ينظر: الأخفش، معاني القرآن: 36/2.

71 - ينظر: الحجة في القراءات السبعة: 50/1.

72 -ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/1: 49/1.

73 - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1- 1422 هـ: 88/1.

74 - ينظر: جامع البيان: 262/1.

ليس له قلب يخلص إليه حق، وسمع تدرك به حجة، وبصر تثبت به عبرة، ويجوز أن يكون{لا يُؤْمِنُونَ}، خبرا؛ لأنّ، فالجملة قبلها اعتراض، [77]وفي شرح الاستفهام المستعمل في التسوية: ويكون في الاستفهام الداخل على جملة يصحُّ حلول المصدر محلّها، ويأتي بعْدَها معادلٌ، قول الله عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [78]، أي: استوى إنذارهُمْ وعَدَمُهُ، [79] والمجاز العقلي[80]، في قوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}، فإنه يجوز من أن يستعار[81]الإسناد نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندًا إلى الله على سبيل المجاز[82] وهو لغيره حقيقة. [83]

وإن المجاز، ويسمى: الاستعارة، وهو قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}، وهي استعارة تصريحية[84]، شبه قلوبهم لتأبيها عن الحق بالوعاء المختوم عليه، واستعارة لفظ الختم بطريق الاستعارة التصريحية، للتصريح بلفظ المشبه به وحذف المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه. [85]

ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير اللَّه للَّه، فيكون الختم مسنداً إلى اسم اللَّه على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة.

فقد جاء معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار فإنّه لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنّما جاء من باب المجاز، ويجوز أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل[86]، أما الاستعارة: فأن تصبح قلوبهم؛ لأن الحق لا يتغلغل فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم؛ لأنّها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم؛ لأنّها لا تجتلى آيات اللَّه

---

(75) - سورة البقرة من الآية: 6.

(76) - وهو (خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ)، وكانت تلك ملاحظة: وجه منع العطف في التأكيد كون التأكيد مع المؤكد كالشيء الواحد. والتأكيد اللفظي قد علم أن ليس المراد منه التكرير إذ لم يتعرضوا له؛ لأنه لا يتوهم فيه صحة العطف، ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 110/3.

(77) - ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 133/3.

(78) - سورة البقرة من الآية: 6.

(79) - ينظر: حَبَنَّكَة، البلاغة العربية: 288

(80) - وهو لفظٌ استُخدمَ لغير معناه الحقيقيّ لعلاقة معيّنة، فكثيراً ما يستخدم الإنسان لفظاً ولا يقصد معناه الحقيقي بل معنى آخرَ مختلفاً: ينظر: حَبَنَّكَة، البلاغة العربية: 280.

(81) - الاستعارة لغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، كأن يُقال: استعرتُ من فلان شيئاً، أمّا اصطلاحاً: فقد عرفها كثير من العلماء، وكلّ أقوالهم في ما يتعلّق فيها تتمحور في أنّها استعمال كلمة، أو معنى لغير ما وُضِعت به، أو جاءت له لشبه بينهما؛ بهدف التوسُّع في بيان الفكرة، أو هي تشبيه حُذِف أحدُ أركانه، كقول الحجاج:)إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قِطافها)؛ إذ تستخدم كلمتا أينعت، والقِطاف للنبات وليس للإنسان: ينظر: عتيق، علم البيان: 2/ 173-174.

(82) - المجاز في اللغة هو التجاوز والتعدّي، وفي الاصطلاح: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقرينة، أي أن اللفظ يُقصد به غير معناه الحرفي بل معنى له علاقة غير مباشرة بالمعنى الحرفي، والمجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، وهي تصنف مع علم البيان: ينظر: عتيق، علم البيان: 133/2.

(83) - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 51/1، و القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 117/1.

(84) - الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المستعار منه (المشبه به) وحذف المستعار له (المشبه) كقول المتنبي مادحا سيف الدولة ومعرضا بملك الروم: قاسم، وديب، علوم البلاغة: 199.

(85) - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 84/1، والصابوني، صفوة التفاسير: 71/1.

(86) - تأتي هذه الاستعارة في حال حذف المشبه والتصريح بالمشبه به مع عدم الاحتفاظ بالكلمات والأشكال كما هي دون إجراء أي تغيير، ويشيع استخدام هذا النوع غالباً في الأمثال، كمثل لكل جواد كبوة: ينظر: حَبَنَّكَة، البلاغة العربية: 282.

المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك، وأمّا التمثيل: فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنقاع بها بالختم والتغطية. (87)

وهي جاءت استعارة تصريحية، شبه قلوبهم لتأبيها عن الحق بالوعاء المختوم عليه، واستعارة لفظ الختم بطريق الاستعارة التصريحية، للتصريح بلفظ المشبه به وحذف المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه.

وقوله تعالى: {وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}، معنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله(88)ويذهب السكاكي(89) أن التنكير في هذا للتعظيم أي: غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة ومرة واحدة، وتحول بينهم وبين الإدراك، وعذاب عظيم لا يقدر قدره. (90)

وجاء التنكير في قوله: {غِشَاوَةٌ}، لإفادة أنها نوع خاص يحجب فقط رؤية آيات الله، وقد دلّ على هذا أنهم يرون بأبصارهم أشياءً كثيرةً إلّا أنّهم محجوبون عن إدراك آيات الله، (91) فقد شبّه الله تعالى قلوبهم لتأبيها عن الحق، وأسماعهم لإضرابها عن سماع داعي الفلاح، وأبصارهم لامتناعها عن تلمح نور الهداية، بالوعاء المختوم عليه، المسدود منافذه، المغطى بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه، وذلك لأنّها كانت مع صحتها وقوة إدراكها ممنوعة عن قبول الخير وسماعه، وتلمح نوره، وهذا بطريق الاستعارة، {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، أيْ إنّه لهم في الآخرة عذاب شديد لا ينقطع، بسبب كفرهم وإجرامهم وتكذيبهم بآيات الله. (92)

ومنهم من قرئ (غشاوة) بالكسرِ والنصبِ، وغشاوةٌ: بالضم والرفع، وغشاوة: بالفتح والنصب، وغشوة: بالكسر والرفع، وغشوة: بالفتح والرفع والنصب، وعشاوة: بالعين غير المعجمة والرفع، من العشا.

المطلب السادس: الإعراب.

في إعراب قوله: (إِنَّ الَّذِين)، فتعرب(إِنَّ)، تنصب اسم الموصول (الَّذِين) فهي تنصب الاسم وترفع الخبر، ومعناها في لتوكيد الكلام، وهي آلة من آلات القسم، وإنّما نصبت ورفعت لأنّها تُشبه بالفعل، وشبهها به أنّها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها ابدا. (93)

في إعراب قوله: (الَّذِينَ) اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم إن. (94)

في إعراب قوله: (كَفَرُوا) فعل ماض مبني على الضم، و(الواو) ضمير متصل في محل رفع فاعل، (سَوَاءٌ) خبر مقدم مرفوع (95)، (على) حرف جر و(الهاء) ضمير متصل في محل جر بحرف الجر و(الميم) حرف لجمع الذكور، والجار والمجرور متعلقان ب (سَوَاءٌ). (96)

---

(87) –ينظر: الزمخشري، الكشاف: 49/1.

(88) - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 53/1.

(89) - يوسف بن أبي بكر السَّكَّاكي هو عالم بالعربية والأدب، من أهل خوارزم، هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السَّكَّاكي الخوارزمي الحنفي، (ولد 555 ه) في خوارزم، وتوفي في قرية الكندي (626 ه): ينظر: الزركلي، الأعلام: 200/1.

(90) – ينظر: المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: 126.

(91) - حَبَنَّكَة، البلاغة العربية: 407.

(92) - ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير: 27/1.

(93) – ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 77/1.

(94) - ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 21/1، وصافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم: 43/1.

(95) - أو خبر (إن) والمصدر المؤول (أأنذرتهم) فاعل له لأنه بمعنى مستو أو مبتدأ والمصدر المؤول خبر.

في إعراب قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) والهمزة للاستفهام، أنذرتهم فعل ماض وفاعل ومفعول به، والميم تأتي لجمع الذكور، والهمزة والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، التقدير إنذارك وعدمه سواء عليهم. (97)

وفي إعراب قوله: (أَمْ) حرف عطف معادل لهمزة التسوية(لَمْ) حرف نفي وجزم وقلب (تُنْذِرْهُمْ) مضارع مجزوم و(هم) ضمير متصل مفعول به.

والمصدر المؤول من الهمزة والفعل في محل رفع مبتدأ مؤخر أي سواء عليهم إنذارك لهم أم عدم إنذارك{لا}، نافية (لا يُؤْمِنُونَ) مضارع مرفوع و(الواو) ضمير متصل في محل رفع فاعل في إعراب قوله: (خَتَمَ) فعل ماض (اللَّهُ)، لفظ الجلالة جاء فاعل مرفوع، و(عَلَى قُلُوبِهِمْ)، جار ومجرور متعلق ب (ختم) و(الهاء) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه و(الميم) حرف لجمع الذكور، (الواو) عاطفة (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) جار ومجرور متعلق ب (ختم) على حذف مضاف أي مواضع سمعهم، و(هم) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه. (98)

في إعراب قوله: (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) فانه عطف على قوله تعالى على قلوبهم (وَعَلَى أَبْصارِهِمْ) فان الواو جاءت استئنافية والجار والمجرور متعلقان في محذوف لخبر مقدّم (غِشاوَةٌ) مبتدأ مؤخر (99).

وفي إعراب قوله: (وَلَهُمْ عَذَابٌ)، مبتدأ وخبر، أو فاعل عمل فيه الجار على ما ذكرنا قبل وفي(عَظِيمٌ) ضمير يرجع على العذاب لأنه صفته. (100)

المطلب السابع: المعنى العام للنص.

فقد ذكر الحق تعالى في هذا النص الحكيم بعض الصفات التي يتحلى بها من كانت صفته الكفر من أقسام الناس تجاه هداية القرآن، وقد قطعه وفصله عمّا قبله، فلم يعطفه عليه للإشارة إلى ما بينهما من طول شقة الانفصال وعدم المشاركة في شيء ما، بخلاف صفة المنافقين الآتي، فإن لهم حظا منه في الدنيا ولمن يتوب منهم حظٌ في الآخرة أيضاً. (101)

بعد أن ذكر الله فريق الشرَّ وبعد الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعاً لهذا الكلام عن الكلام الأول، معنوناً له بما يفيد أن شأن جنس الكفرة عدم إجداء الإنذار لهم، وأنّه لا يترتب عليهم ما هو المطلوب منهم من الإيمان، وأنّ وجود ذلك كعدمه، وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر، والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء غير مراد بهما ما هو أصلهما من الاستفهام، وصح الابتداء بالفعل والإخبار عنه.

عندما قدّم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده، وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة، قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى، ولا يجدى عليهم اللطف، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول صلى الله عليه وسلم وسكوته، لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله: {أن الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ_ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}، (102) وغيره من الآي الكثيرة، وليس هناك تقارب بين الصنفين: لأن الصنف الأول: فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين،

---

(96) - ينظر: السنيكي، إعراب القرآن العظيم: 165.

(97) - ينظر: الدعاس، إعراب القرآن الكريم: 10/1.

(98) - ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه: 28/1.

(99) - ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه: 28.

(100) - ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 33/1.

(101) -ينظر: رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار: 161/1.

(102) - سورة الانفطار من الآية: 13-14.

وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين هنالك تباين في الغرض والأسلوب، وهما على حدٍّ لا مجال فيه للعاطف. [103]

فأما الصورة الثانية فهي صورة الكافرين، وهي تمثل مقومات الكفر في كل أرض وفي كل حين: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ)[104] وهنا نجد التقابل تاما بين صورة المتقين وصورة الكافرين، فإذا كان الكتاب بذاته هدى للمتقين، فإن الإنذار وعدم الإنذار سواء بالقياس إلى الكافرين، أن النوافذ المفتوحة في أرواح المتقين، والوشائج التي تربطهم بالوجود وبخالق الوجود، وبالظاهر والباطن والغيب والحاضر أن هذه النوافذ المفتحة كلها هناك، مغلقة كلها هنا وإن الوشائج الموصولة كلها هناك مقطوعة كلها هنا: (خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ) [105]ختم عليها فلا تصل إليها حقيقة من الهدى ولا صدى.

في معنى الكفر في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}: فإنّه معناه الجحود، والتغطية، والستر، أن الأحبار اليهود الذين كانوا يسكنون في المدينة فقد جحدوا وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وستروه عن الناس وكتموا أمره ولم يؤيدوه، وأنّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم بأنه مذكور في كتابهم نبي مبعوث إلى الناس كافة وليس خاصة.

وأصل الكفر عند العرب: تغطية الشيء، ولذلك سمّوا الليل "كافرا"، لتغطية ظلمته ما لبسته، كما وقال لبيد بن ربيعة:

يَعْلُو طَرِيقةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرَا فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ غَمَامُهَ[106]

يعني: (غطاها)، فـ(التكفير)، (التفعيل) من(الكفر)، فكذلك اليهود غطوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتموه عن الناس مع علمهم بنبوته، ووجود صفته في كتبهم فقال الله جلّ ثناؤه فيهم: {أن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ}[107]، وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}، [108] لأن في الدعوة زيادة الحجة عليهم، كما أن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن، أن الآية خاصة، وليست بعامة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم.

وقوله: {سَوَاءٌ}، اسم بمعنى: الاستواء، وصف به، كما يوصف بالمصادر، مبالغة، ومنه قوله تعالى: (تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ)[109] بمعنى: مستوية.

وقوله: {أَأَنْذَرْتَهُمْ}: (الإنذار) الإعلام مع تخويف، والمراد هنا: التخويف من عذابه تعالى، وانتقامه، والاقتصار عليه لما أنّهم ليسوا أهلاً للبشارة، ولأنّ الإنذار أوقع في القلوب، ومن لم يتأثر به فلأن لا يرفع للبشارة رأساً أولى.

وبعد الإنذار هو إخبار بشيء مع الترهيب بما ينتظم على فعله سواء كان هذا الفعل مذموماً أو تركه أن كان محموداً، ويراد به هنا الترهيب من عذاب الله وعقابه على من فعل المعاصي.

---

(103) - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 47/1.

(104) - سورة البقرة: 6.

(105) - سورة البقرة: 7.

(106) - معلقته المشهورة، ، ويروى "ظلامها"، وصدره: (يَعْلُو طَرِيقةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرَا)، يعني البقرة الوحشية، قد ولجت كناسها في أصل شجرة، والرمل يتساقط على ظهرها.

(107) - سورة البقرة: 159.

(108) - ينظر: الطبري، جامع البيان: 255/1.

(109) - سورة ال عمران من الآية: 64.

وقوله: {لا يُؤْمِنُونَ}، كانت تلك جملة موضحة لتساوى الإنذار وعدمه في حقهم لا في حقّه صلى الله عليه وسلم، ولا في حقّ الدعاة إلى دينه، إذ هم يدعون كلّ كافرٍ إلى الدين الحقّ، لا فرق بين المستعد للإيمان وغير المستعد. (110)

وهو استئناف معلّل لما سبق من الحكم، أو بيان وتأكيد له، والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه، والمراد: إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغيّ، وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار، ولا ينفذ فيها الحق أصلا. (111)

وقوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، أيّ أن الله طبع على قلوبهم فلا يدخل فيها نورٌ، ولا يطلع فيها إيمان، والختم هو التغطية والطبع، ولأنّ القلوب إذا كثرت عليها الذنوب طمست نور البصيرة فيها، فلا يكون للإيمان إليها مسلكٌ، ولا للكفر عنها مخلصٌ كما قال تعالى: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} (112). (113)

وهكذا يطلعنا الله أن منافذ العلم في الإنسان هي السمع والأبصار والأفئدة، ولكن في الآية الكريمة التي نحن بصددها مجيء الله القلوب على السمع والأبصار، أن الله يعلم أنهم اختاروا الكفر، وكان هذا الاختيار قبل أن يختم الله على قلوبهم والختم على القلوب معناه أنّه لا يدخلها إدراك جديد ولا يخرج منها إدراك قديم، ومهما رأت العين أو سمعت الأذن، فلا فائدة من ذلك لأن هذه القلوب مختومة بخاتم الله بعد أن اختار أصحابها الكفر وأصروا عليه.

والمراد (بالكفر): من علم الله أن الكفر قد رسخ في قلوبهم حتى أصبحوا غير مستعدين للإيمان، بجحودهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به بعد أن بلغتهم رسالته بلاغاً صحيحاً وعرضت عليهم الدلائل على صحتها للنظر والبحث. (114)

فقد إسناد إحداث ذلك الموقف في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد عموم الحوادث عندنا من حيث الخلق إليه سبحانه، وورود هذه الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم. (115)

وفي قوله تعالى: {وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}، أيْ وعلى أسماعهم وعلى أبصارهم غطاءٌ، فلا يبصرون هدى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون، لأن أسماعهم وأبصارهم كأنّها مغطاةٌ بحجب كثيفة، لذلك يرون الحق فلا يتبعونه، ويسمعونه فلا يعونه.

فقد شبه تعالى قلوبهم لتأبيها عن الحق، وأسماعهم لإضرابها عن سماع داعي الفلاح، وأبصارهم لامتناعها عن تلمح نور الهداية، بالوعاء المختوم عليه، المسدود منافذه، المغطى بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه، وذلك لأنها كانت مع صحتها وقوة إدراكها ممنوعة عن قبول الخير وسماعه، وتلمح نوره، وهذا بطريق الاستعارة، (116)وكذلك حدث مثل هذا في الأسماع فلا تسمع آيات الله المنزلة سماع تأمل وتدبر، وجعل على الأبصار غشاوة، فلا تدرك آيات الله المبصرة في الآفاق والأنفس الدالة على الإيمان ومن ثم لا يرجى تغيير حالهم ولا أن يدخل الإيمان في قلوبهم. (117)

---

(110) - ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 47/1.

(111) - ينظر: القاسمي، محاسن التأويل: 247/1.

(112) - سورة النساء من الآية: 155.

(113) -ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير: 27/1، والحجازي، التفسير الواضح: 16/1.

(114) –ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 47/1.

(115) –ينظر: تفسير أبي السعود، ارشاد الفحول: 37/1.

(116) - ينظر: البحر المحيط: 74/1.

(117) - ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 48/1.

وقوله: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ولهم في الآخرة عذاب شديد لا ينقطع، بسبب كفرهم وإجرامهم وتكذيبهم بآيات الله. (118)

وهكذا نرى أنه من عظمة علم الخالق وأنّه يعلم من سيصر على الكفر وأنه سيموت كافرا وإذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا يطلب الله تبارك وتعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغهم بالمنهج وبالقرآن ليكونوا شهداء على أنفسهم يوم القيامة فلا يأتي هؤلاء الناس يوم المشهد العظيم ويجادلون بالباطل أنه لو بلغهم الهدى ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنوا ولكن لماذا يختم الله على قلوبهم لأن القلب هو مكان العقائد، ولذلك فإن القضية تناقش في العقل فإذا انتهت مناقشتها واقتنع بها الإنسان تماماً فإنها تستقر في القلب ولا تعود إلى الذهن مرة أخرى وتصبح عقيدة وإيمانا.

المطلب الثامن: ما يستفاد من النص.

1- كان في هاتين الآيتين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له، فلا تحسرَ عليهم، ولا طمع في إيمانهم، ولا لوم عليه فيهم. (119)
2- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأنْ يحرمهم الله تعالى الهداية، وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا، التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم(120).
3- سبب كفرهم: وهو إما عناد للحق بعد معرفته وقد كان من هذا الصنف جماعة من المشركين واليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود، وإما إعراض (121)عن معرفته واستكبار عن النظر فيه.
4- فالإنذار إخبار بشيء مع التخويف بما يترتب على فعله إن كان مذموما أو تركه إن كان محمودا، ويراد به هنا التخويف من عذاب الله وعقابه على فعل المعاصي. (122)
5- قوله: {لا يُؤْمِنُونَ}، جملة موضحة لتساوى الإنذار وعدمه في حقهم لا في حقه صلى الله عليه وسلم، ولا في حق الدعاة إلى دينه، إذ هم يدعون كلّ كافر إلى الدين الحق، لا فرق بين المستعد للإيمان وغير المستعد. (123)

الخاتمة:

أولا: النتائج: توصلت إلى نتائج عديدة أهمها:

1. معنى الكفر اللغوي الستر والتغطية ثم اشتق منه المعنى الاصطلاحي كما قال ابن القيم جحد ما علم أن الرسول جاء به، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية فمن جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد معرفته بأنه جاء به، فهو كافر في دق الدين وجله.
2. الكفر ليس بأمر هين بل هو أمر عظيم وقضية كبيرة مهلكة، ولا ينبغي للمسلم أن يتساهل فيه.
3. الكفر ليس على نوع واحد ولا على جنس واحد بل أنواع متعددة بعضها أشد من بعض.

---

(118) – الصابوني، صفوة التفاسير: 27/1.

(119) - ينظر: الزحيلي، التفسير المنير: 78/1.

(120) -ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، : 33/1.

(121) - ينظر: ابو حيان، البحر المحيط: 74/1.

(122) - ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير: 96/1.

(123) - ينظر: المراغي، تفسير المراغي: 48/1.

4. تظهر خطورة الكفر من خلال القرآن الكريم، وقد ذكر هذه الكلمة ومشتقاتها مئة مرة.
5. إن الكفر سببٌ لهلاك الأمة سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، ففي الدنيا ذكر القصص السابقة من الأمم الكافرة وكيف أنزل فيهم العذاب، أما الآخرة ذكر مصير الكفار ويفصل بعض أنواع العذاب.

ثانياً: التوصيات:

1. على المسلم أن يعلم الشر كما ينبغي عليه أن يعلم الخير، لأن من لا يعرف الشر لا يأمن من الوقوع فيه.
2. تجنب الكفر يتطلب من المسلم تجنب أسبابه، فعليه أن يبتعد عن الأسباب كي لا يقع في المسبب.
3. معرفة خطورة الكفر وعواقبه في الدنيا والآخرة يزيد المسلم خوفا وخشية من رب العالمين.
4. لا ينبغي للمسلم أن يتساهل في أمر الكفر، لأنه خطر عظيم، وأهل النار إنما يدخلون النار بسبب هذا الكفر.
5. علينا أن نعلم أن أهل الكفر الذين ماتوا على كفرهم لن يدخلوا الجنة ولن يخرجوا من النار يوم القيامة عند جمهور علماء المسلمين.

وأخيرا نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه صلاح في الدنيا والآخرة

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن العباس، أحمد بن موسى بن العباس التميمي(ت 324هـ)، كتاب السبعة في القراءات، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط/2، 1400هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، ط/4، 1401 هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية– تونس، 1984هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط/3 - 1414 هـ.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أبو المعالي، محمد بن عبد، أبو المعالي، جلال الدين القزويني (ت: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط/3.
- أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط/1: 1420 هـ.
- أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: 403هـ)، حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- الاخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)، معانى القرآن للأخفش المعتزلي، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1، 1411.

- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1، 2001م.
- الاستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (686 هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام 1093 من الهجرة، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الاساتذة: محمد نور الحسن - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، محمد الزفزاف - المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيي الدين عبد الحميد - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- الأصفهاني، ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت 425هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق.
- الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: 926هـ)، إعراب القرآن العظيم، حققه: د. موسى على موسى (رسالة ماجستير)، ط/1، 1421 هـ - 2001 م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1 - 1418 هـ
- الجرجاني، علي بن محمد بن الجرجاني (ت 816هـ)، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/2 1403هـ -1983م.
- الجزائري، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/5، 1424هـ/2003م.
- الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع (ت 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
- حَبَنَّكَة، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط/1، 1416 هـ - 1996 م.
- الحجازي، محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد بيروت، ط/10 - 1413 هـ
- الحربي، د. احمد كريم ابراهيم الحربي، صفات المتقين في أول سورة البقرة- دراسة وتحليل- الجامعة العراقية/كلية الشريعة، 2016م، مجلة الجامعة العراقية.
- الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.
- الدعاس، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، إعراب القرآن الكريم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط/1، 1425.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط/1، 1417 هـ- 1997م.
- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط/5، 1420هـ / 1999م.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط/1 1408 هـ - 1988 م.

- الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط/1، 1418 هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس، (ت: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط/15، أيار / مايو 2002 م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة/ الثالثة - 1407 هـ
- سعيد حوّى (ت: 1409 هـ)، الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة، ط/2، 1424 هـ
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط/1 - 1414 هـ
- الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط/1، 1417 هـ - 1997 م.
- صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط/4، 1418 هـ
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420 هـ - 2000 م.
- عتيق، عبد العزيز، علم البيان، (1985)، بيروت: دار النهضة العربية.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/8 1426 هـ - 2005 م.
- القاسم، ود. الديب، المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط/1، 2003 م.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط/1 - 1418 هـ
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر (1412 هـ).
- محمد رشيد، محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- محيي الدين درويش (ت: 1403هـ)، درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط/4، 1415 هـ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع».
- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/1، 1365 هـ - 1946 م.
- الواحدي، أبو الحسن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1411 هـ